تفسير سورة طه
مَا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْقُرْآنَ لِتَشْقَى
اللقاء التاسع والأخير

المعنى الإجمالي: من الآية (115) إلى الآية (127):

يذكرُ الله تعالى جانبًا مِن قصةِ آدمَ عليه السلامُ، فيقولُ: ولقد وصَّينا آدَمَ مِن قَبلُ ألَّا يأكُلَ مِن الشَّجَرةِ، وألَّا يُطيعَ الشَّيطانَ، فوسوسَ إليه الشَّيطانُ فأطاعَه، ونَسِيَ الوصيَّةَ، ولم نجِدْ له قُوَّةً في العَزمِ يحفَظُ بها ما أُمِرَ به.

واذكُرْ -يا محمَّدُ- إذ قُلْنا للمَلائكةِ: اسجُدوا لآدَمَ سُجودَ تحيَّةٍ وإكرامٍ، فأطاعوا وسجَدوا، لكِنَّ إبليسَ امتَنَعَ مِن السُّجودِ. فقُلْنا: يا آدَمُ، إنَّ إبليسَ هذا عَدُوٌّ لك ولِزَوجِك، فاحذَرا من أن تُطيعاه، فيُخرِجَكما من الجنَّةِ، فتَشقى إذا أُخرِجْتَ منها. إنَّ لك -يا آدَمُ- في هذه الجنَّةِ ألَّا تَجوعَ ولا تعرى، وألَّا تَعطَشَ ولا يصيبَك حَرُّ الشَّمسِ. فوسوسَ الشيطانُ لآدَمَ وقال له: هل أدُلُّك على شَجَرةٍ إن أكَلْتَ منها خُلِّدتَ فلَمْ تَمُتْ، وكان لك مُلكٌ لا ينقضي ولا ينقَطِعُ؟

فأكلَ آدمُ وحوَّاءُ مِن الشَّجَرةِ التي نهاهما اللهُ عنها، فانكشَفَت لهما عوْراتُهما، وقد كانت مَستورةً عن أعيُنِهما، فأخذا يُلصِقانِ عليهما مِن وَرَقِ أشجارِ الجَنَّةِ؛ ليَستُرا ما انكشَفَ مِن عَوْراتِهما، وخالف آدَمُ أمْرَ رَبِّه فأخطأَ طَريقَ الصَّوابِ بالأكلِ مِن الشَّجَرةِ التي نهاه اللهُ عن الاقترابِ منها. ثمَّ اصطفى اللهُ آدَمَ، بعدَ مَعصيتِه، فتابَ عليه منها، وهداه للتوبةِ، ووفَّقه لها، وثبَّته عليها.

وقال تعالى لآدَمَ -ومعه زوجُه حواءُ- وإبليسَ: اهبِطَا مِن الجنَّةِ إلى الأرضِ جَميعًا بعضُكم عدُوٌّ لبَعضٍ، فإنْ يأتِكم منِّي رسولٌ أُرسِلُه إليكم، وكِتابٌ أُنزِلُه عليكم، فمَن اتَّبَع رسُلي، وعَمِلَ بكُتُبي؛ اهتَدى، وسعِد في الدُّنيا والآخرةِ.

يقولُ الله تعالى مبينًا سوءَ عاقبةِ من أعرضَ عن ذكرِه وطاعتِه: ومَن أعرَضَ عن كِتابي فلم يتدَبَّرْه ولم يَعمَلْ بما فيه؛ فإنَّ له مَعيشةً ضَيِّقةً شاقَّةً في حياتِه وبعد مماتِه وفي الآخِرةِ، ونحشُرُه يومَ القيامةِ أعمى.

قال هذا المعرِضُ عن ذِكرِ الله: ربِّ، لِمَ حَشَرْتَني أعمى، وقد كنتُ بَصيرًا في الدُّنيا؟ قال اللهُ تعالى له: كذلك أتَتْك آياتي البيِّناتُ، فأعرَضْتَ عنها، ولم تؤمِنْ بها، وكما تركتَها في الدُّنيا فكذلك اليومَ تُترَكُ في النَّارِ، وهكذا نُعاقِبُ مَن أسرَفَ على نَفسِه فعَصى رَبَّه، ولم يؤمِنْ بآياتِه، ولَعذابُ الآخرةِ المعَدُّ لهم أشَدُّ ألَمًا وأدوَمُ وأثبَتُ بلا انقِطاعٍ.

﴿أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى﴾﴿128﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: لما بيَّنَ الله تعالى أنَّ من أعرَضَ عن ذِكرِه كيف يُحشَرُ يوم القيامة، أتبَعَه بما يَعتَبِرُ به المكَلَّفُ من الأحوالِ الواقعةِ في الدنيا بمن كَذَّبَ الرسُلَ:

(أَفَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ) أي: أفلَمْ يتبَيَّنْ لِمُشرِكي العَرَبِ كثرةُ من أهلَكْنا قبلهم من الأُمَمِ الماضيةِ، وهم يسيرونَ في مساكِنِهم إذا سافروا، ويَرَونَ آثارَ هَلاكِهم بسَبَبِ كُفرِهم، أفلا يخافونَ أنْ نُهلِكَهم مِثْلَهم، إن لم يؤمِنوا ويُذعِنوا للحَقِّ الذي جاءَهم. موسوعة التفسير

قال ابنُ عاشور: (والمرادُ بالقرونِ: عادٌ وثمود؛ فقد كان العربُ يمرُّون بمساكِنِ عادٍ في رِحْلاتِهم إلى اليَمَنِ ونجران وما جاورها، وبمساكِنِ ثمودَ في رحلاتِهم إلى الشَّامِ، وقد مرَّ النبيُّ صلَّى الله عليه وسلَّم والمسلمون بديارِ ثمودَ في مسيرِهم إلى تبوكَ).

قَالَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-:"لأصْحَابِ الحِجْرِ: لا تَدْخُلُوا علَى هَؤُلَاءِ المعَذَّبِينَ إلَّا أنْ تَكُونُوا بَاكِينَ، أنْ يُصِيبَكُمْ مِثْلُ ما أصَابَهُمْ". صحيح البخاري

يجب التَّفكُّرُ في أحوالِ مَن أهْلَكَهم اللهُ تعالَى، والحَذَرُ ممَّا وقَعوا فيه؛ والحذرُ مِن الغَفلةِ عن تَدبُّرِ الآياتِ؛ لأنَّ مَن رأَى ما حلَّ بالعُصاةِ ولم يَتنبَّهْ بذلك مِن غَفلتِه، ولم يَتفكَّرْ في حالِهم، ويَعتبِرْ بهم؛ فإنَّه يُخشَى حُلولُ العُقوبةِ به؛ فإنَّها إنَّما حلَّتْ بالعُصاةِ لغَفلتِهم عن التَّدبُّرِ، وإهمالِهم اليقظةَ والتَّذكُّرَ. الدرر السنية

كما قال تعالى: (أَلَمْ يَرَوْا كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنْ قَرْنٍ مَكَّنَّاهُمْ فِي الْأَرْضِ مَا لَمْ نُمَكِّنْ لَكُمْ وَأَرْسَلْنَا السَّمَاءَ عَلَيْهِمْ مِدْرَارًا وَجَعَلْنَا الْأَنْهَارَ تَجْرِي مِنْ تَحْتِهِمْ فَأَهْلَكْنَاهُمْ بِذُنُوبِهِمْ وَأَنْشَأْنَا مِنْ بَعْدِهِمْ قَرْنًا آخَرِينَ) [الأنعام: 6].

(إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ لِأُولِي النُّهَى) أي: إنَّ في إهلاك الأمَمِ المكذِّبةِ لَدلالاتٍ وعِظاتٍ لِذَوي العُقولِ الصَّحيحةِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: فيه أنَّه ما كُلُّ أحدٍ ينتَفِعُ بالآياتِ، إنما ينتَفِعُ بها أولو النُّهى، أي: العقولِ السليمةِ، والفِطَرِ المستقيمة، والألبابِ التي تَزجُرُ أصحابَها عمَّا لا ينبغي.

قال ابن القيم: (فأيُّ دَلالةٍ أعظَمُ مِن رَجُلٍ يَخرُجُ وَحدَه لا عُدَّةَ له ولا عَدَدَ ولا مالَ، فيدعو الأمَّةَ العظيمةَ إلى توحيدِ الله والإيمانِ به وطاعته، ويحَذِّرُهم من بأسِه ونِقمَتِه؛ فتتَّفِق كَلِمتُهم أو أكثَرِهم على تكذيبِه ومعاداتِه، فيُذَكِّرُهم أنواعَ العقوباتِ الخارجةِ عن قُدرةِ البَشَرِ، فيُغرِقُ المكَذِّبينَ كُلَّهم تارة، ويخسِفُ بغَيرِهم الأرضَ تارةً، ويُهلِكُ آخرينَ بالرِّيحِ، وآخرينَ بالصَّيحةِ، وآخرينَ بالمسخِ، وآخرينَ بالصَّواعِقِ، وآخرينَ بأنواعِ العقوباتِ، وينجو داعيهم ومَن معه، والهالِكونُ أضعافُ أضعافِ أضعافِهم عددًا وقُوَّةً ومَنعةً وأموالًا؟!). ((التبيان في أقسام القرآن)) (ص: 302).

كما قال تعالى: (أَوَلَمْ يَهْدِ لَهُمْ كَمْ أَهْلَكْنَا مِنْ قَبْلِهِمْ مِنَ الْقُرُونِ يَمْشُونَ فِي مَسَاكِنِهِمْ إِنَّ فِي ذَلِكَ لَآيَاتٍ أَفَلَا يَسْمَعُونَ) [السجدة: 26].

وقال سُبحانَه: (وَكَمْ أَهْلَكْنَا قَبْلَهُمْ مِنْ قَرْنٍ هُمْ أَشَدُّ مِنْهُمْ بَطْشًا فَنَقَّبُوا فِي الْبِلَادِ هَلْ مِنْ مَحِيصٍ * إِنَّ فِي ذَلِكَ لَذِكْرَى لِمَنْ كَانَ لَهُ قَلْبٌ أَوْ أَلْقَى السَّمْعَ وَهُوَ شَهِيدٌ) [ق: 36، 37].

وقال عزَّ وجلَّ: (وَلَقَدْ أَهْلَكْنَا أَشْيَاعَكُمْ فَهَلْ مِنْ مُدَّكِرٍ) [القمر: 51].

﴿وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى﴾﴿129﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قبلَها: قال الشربيني: أنَّه لَمَّا هَدَّدَهم الله تعالى بإهلاكِ الماضين، ذكرَ سَبَبَ التأخيرِ عنهم:

(وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى) أي: ولولا تَقديرُ الله تأخيرَ العذابِ إلى وَقتٍ مُقَدَّرٍ؛ للزِمَهم الهلاكُ عاجِلًا. موسوعة التفسير

لازمًا، حتمًا واقعًا.

قال ابنُ تيمية: (قوله: وَلَوْلَا كَلِمَةٌ سَبَقَتْ مِنْ رَبِّكَ لَكَانَ لِزَامًا وَأَجَلٌ مُسَمًّى أي: إنَّ عذابَهم له أجلٌ مسمًّى: إمَّا يوم القيامةِ، وإمَّا في الدنيا كيومِ بدرٍ، وإما عَقِبَ الموتِ، وقد ذُكِر في الآيةِ الأقوالُ الثلاثةِ. فلولا كلمةٌ سبقَت مِن ربِّك إلى أجلٍ مسمًّى، لكان العذابُ لزامًا، أي: لازمًا لهم؛ فإن المقتضي له قائمٌ تامٌّ، وهو كفرُهم).

قَالَ رَسولُ اللَّهِ -ﷺ-:"إذا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الخيرَ عجَّلَ لَه العقوبةَ في الدُّنيا، وإذَا أرادَ اللَّهُ بعبدِه الشَّرَّ أمسَك عنهُ بذنبِه حتَّى يوافيَ بِه يومَ القيامة" صحيح الترمذي

كما قال تعالى: (قُلْ مَا يَعْبَأُ بِكُمْ رَبِّي لَوْلَا دُعَاؤُكُمْ فَقَدْ كَذَّبْتُمْ فَسَوْفَ يَكُونُ لِزَامًا) [الفرقان: 77].

﴿فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى﴾﴿130﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قبلَها: قال الرازي: لما أخبرَ الله تعالى نبيَّه بأنَّه لا يُهلِكُ أحدًا قبلَ استيفاءِ أجَلِه؛ أمَرَه بالصبر على ما يقولونَ، فرَغَّبَه تعالى في الصبرِ، وبعَثه على الإدامةِ على الدعاءِ إلى الله تعالى، وإبلاغِ ما حُمِّلَ مِن الرسالةِ، وألَّا يكونَ ما يُقدِمونَ عليه صارفًا له عن ذلك:

(فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) أي: فاصبِرْ -يا محمَّدُ- على ما يقولُ كُفَّارُ قَومِك مِن تكذيبِك، والاستهزاءِ بك، وإيذائِك، كقولهم: هو ساحِرٌ ومجنونٌ؛ فلا تستعجِلْ لهم العذابَ، ولا تحفِلْ بهم؛ فإنَّ لعذابِهم وَقتًا مضروبًا لا يُتقَدَّمُ عنه، ولا يُتأخَّرُ. موسوعة التفسير

(وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) أي: ونزِّه -يا محمَّدُ- ربَّك عن كلِّ نَقصٍ، حامدًا له بإثباتِ كُلِّ كَمالٍ مع محبَّتِه وتَعظيمِه سُبحانَه، وذلك بأن تصلِّيَ له وَحدَه قَبلَ طُلوعِ الشَّمسِ: صلاةَ الفَجرِ، وقبل غُروبِها، صلاةَ العَصرِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ بِالْعَشِيِّ وَالْإِبْكَارِ) [غافر: 55].

وقال سُبحانَه: (وَلَقَدْ نَعْلَمُ أَنَّكَ يَضِيقُ صَدْرُكَ بِمَا يَقُولُونَ * فَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ وَكُنْ مِنَ السَّاجِدِينَ) [الحجر: 97، 98].

❍جبال الهموم التي على صدرك لاشيء يزيحها كذكرك لربك، فالهج باسم بكل حين والكريم لن يخيبك. مها العنزي

وعن جريرِ بنِ عَبدِ اللهِ رَضِيَ الله عنه قال:(كنَّا عند النبيِّ -ﷺ- إذ نظَرَ إلى القَمَرِ ليلة البَدرِ فقال: أمَا إنَّكم سترَونَ رَبَّكم كما تَرَونَ هذا، لا تضامُّونَ -أو لا تضاهون (تضاهون: لا يشتبِهُ عليكم، ولا ترتابون فيه فيعارِض بعضُكم بعضًا. يُنظر:(فتح الباري) - في رؤيتِه، فإن استطعتُم ألَّا تُغلبوا على صلاةٍ قبل طلوعِ الشَّمسِ وقبل غُروبِها، فافعَلوا) ثم قال: (وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ غُرُوبِهَا) (متفق عليه)

وقال تعالى: (يَا أَيُّهَا الَّذِينَ آمَنُوا اذْكُرُوا اللَّهَ ذِكْرًا كَثِيرًا * وَسَبِّحُوهُ بُكْرَةً وَأَصِيلًا)[الأحزاب:41-42].

قال السعدي -رحمه الله-: "يأمر تعالى المؤمنين، بذكره ذكرًا كثيرًا؛ من تهليلٍ وتحميدٍ وتسبيحٍ وتكبيرٍ وغير ذلك، من كلِ قولٍ فيه قُربةٌ إلى الله، وأقل ذلك أن يلازمَ الإنسانُ أورادَ الصباحِ والمساءِ، وأدبارَ الصلوات الخمسِ، وعند العوارض والأسباب".

(وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ) أي: ومِن ساعاتِ اللَّيلِ فَصَلِّ -يا محمَّدُ. موسوعة التفسير

وقال ابن رجب: (وأما التسبيحُ من آناء الليل فيدخلُ فيه صلاة المغربِ وصلاةُ العشاء).

كما قال تعالى: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ وَسَبِّحْ بِحَمْدِ رَبِّكَ قَبْلَ طُلُوعِ الشَّمْسِ وَقَبْلَ الْغُرُوبِ * وَمِنَ اللَّيْلِ فَسَبِّحْهُ وَأَدْبَارَ السُّجُودِ) [ق: 39، 40].

(وَأَطْرَافَ النَّهَارِ لَعَلَّكَ تَرْضَى) أي: وصلِّ -يا محمَّد- في أطرافِ النَّهارِ؛ كي ترضى بما يعطيك ربُّك مِن الثوابِ العاجِلِ والآجِلِ، ويطمَئِنَّ قَلْبُك وتقَرَّ عَينُك بعبادةِ رَبِّك، وتتسلَّى بها عن أذيَّتِهم، ويَهونَ عليك الصَّبرُ. موسوعة التفسير

هذا أمر من الله -تعالى- بالتسبيح سائر اليوم ووعد منه -تعالى- بإنزال الرضا في النفس.. ونلاحظ كيف استوعب التسبيح سائر اليوم؛ فهو قبل الشروق وقبل الغروب، وآناء الليل، وأول النهار، وآخره! إنه اليوم كله! ومتى ما استوعبت وقتك بالتسبيح نزل الرضا بقلبك ذلك أن التسبيح اتصال بالله، والنفس التي تتصل بالله تطمئن وترضى؛ فالرضى ثمرة التسبيح والعبادة ينبت من داخل النفس ويترعرع في حنايا القلب، ومتى ما نزل الرضا بالقلب طابت الحياة وزانت... والرضا في هذه الآية عام في الدنيا والآخرة.

قال البقاعي: في قَولُ الله تعالى: (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ) أفاد بذِكرِ الجارِّ في (الآناءِ) التبعيضَ؛ لأنَّ الليلَ محَلُّ الراحةِ، ونَزعُه من الأطرافِ لتيسُّرِ استغراقِها بالذِّكرِ؛ لأنَّ النَّهارَ مَوضِعُ النشاطِ واليَقَظةِ.

قال ابن عاشور: في قول الله تعالى: (وَمِنْ آنَاءِ اللَّيْلِ فَسَبِّحْ) وجهُ الاهتمامِ بآناءِ اللَّيلِ: أنَّ اللَّيلَ وقتٌ تَميلُ فيه النُّفوسُ إلى الدَّعَةِ، فيُخشى أن يُتساهَلَ في أداءِ الصَّلاةِ فيه.

قال الرازي: أمَرَ تعالى عَقيبَ الصَّبرِ بالتَّسبيحِ؛ لأنَّ ذِكرَ اللهِ تعالى يفيدُ السَّلوةَ والرَّاحةَ؛ إذ لا راحةَ للمُؤمِنينَ دونَ لقاءِ الله تعالى، على أحدِ القولينِ في المرادِ بالتسبيحِ.

عن أبي سَعيدٍ الخُدْريِّ رَضِيَ الله عنه، قال: قال رَسولُ الله -ﷺ-: (إنَّ اللهَ تبارك وتعالى يقولُ لأهلِ الجنَّةِ: يا أهلَ الجنَّةِ، فيقولون: لبَّيك ربَّنا وسَعدَيك، فيقولُ: هل رَضِيتُم؟ فيقولونَ: وما لنا لا نرضى وقد أعطيتَنا ما لم تُعطِ أحدًا من خَلقِك؟! فيقولُ: أنا أُعطيكم أفضَلَ مِن ذلك، قالوا: يا رَبِّ، وأيُّ شَيءٍ أفضَلُ مِن ذلك؟! فيقولُ: أحِلُّ عليكم رِضواني، فلا أسخَطُ عليكم بعده أبدًا) (متفق عليه).

﴿وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى﴾﴿131﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قبلَها: قال ابن عاشور: أنَّ الله تعالى أعقَبَ أمرَ النبيِّ صلَّى الله عليه وسلَّم بالصَّبرِ على ما يقولونَه بنَهيِه عن الإعجابِ بما يُنَعَّمُ به مَن تنعَّمَ مِن المشركينَ بأموالٍ وبنينَ في حينِ كُفرِهم باللهِ، بأنَّ ذلك لحِكَمٍ يَعلَمُها الله تعالى، منها إقامةُ الحُجَّةِ عليهم، كما قال تعالى: (أَيَحْسَبُونَ أَنَّمَا نُمِدُّهُمْ بِهِ مِنْ مَالٍ وَبَنِينَ * نُسَارِعُ لَهُمْ فِي الْخَيْرَاتِ بَل لَا يَشْعُرُونَ) [المؤمنون: 55، 56].

(وَلَا تَمُدَّنَّ عَيْنَيْكَ إِلَى مَا مَتَّعْنَا بِهِ أَزْوَاجًا مِنْهُمْ زَهْرَةَ الْحَيَاةِ الدُّنْيَا لِنَفْتِنَهُمْ فِيهِ) أي: ولا تُطِلِ النَّظَرَ -يا محمَّدُ- بإعجابٍ ورَغبةٍ وتمنٍّ إلى ما أعطَيناه للأغنياءِ المترَفينَ من هؤلاءِ المعرِضينَ عن آياتِ رَبِّهم من نِعَمٍ ومَباهِجَ زائلةٍ، يتمتَّعونَ بها مِن زينةِ الدُّنيا الفانيةِ؛ فإنَّما جعلناها لهم لنبتَلِيَهم ونختَبِرَهم بذلك. موسوعة التفسير

عن عُمَرَ رَضِيَ الله عنه، أنَّه قال: ((ادعُ اللهَ يا رسولَ اللهِ أن يوسِّعَ على أمَّتِك؛ فقد وسَّعَ على فارسَ والرُّومِ، وهم لا يَعبُدونَ الله. فاستوى جالسًا، ثمَّ قال: أفي شكٍّ أنت يا ابنَ الخطَّابِ؟! أولئك قومٌ عُجِّلَتْ لهم طيِّباتُهم في الحياةِ الدُّنيا)). رواه مسلم

قالَ رسولُ اللَّهِ -ﷺ-:" ازهَد في الدُّنيا يحبَّكَ اللَّهُ وازهد فيما في أيدي النَّاسِ يحبُّوكَ". صحيح ابن ماجه

❁فيه النَّهيُ عن التشَوُّفِ إلى ما في أيدي النَّاسِ. (الإكليل)

❍فتات الدنيا لا يملأ عين العارف بالله، ولا يؤنسه سوى لذة الهداية والثبات عليها. أبرار بنت فهد القاسم

❍كلّما أطلت النظر لِمتاع غيرك زاد همّك وسُلبت راحتك، فاقنع بما أتاك الله من نعم لا تكاد تُحصيها. ياسمين العنزي

قال السعدي: فيه أنَّه ينبغي للمُوَفَّقِ ألَّا ينظُرَ إلى زينةِ الدُّنيا نَظرةَ المعجَبِ المفتونِ، وأن يقنَعَ برِزقِ رَبِّه، وأن يتعَوَّضَ ممَّا مُنِعَ منه من الدُّنيا بزادِ التقوى الذي هو عبادةُ اللهِ، واللَّهَجُ بذِكرِه.

قال ابن عثيمين: أي: لا تنظُرْ إلى أهلِ الدنيا، وما مُتِّعُوا به مِن النعيمِ، ومِن المراكبِ، والملابسِ، والمساكنِ.. وغير ذلك؛ فكلُّ هذا زهرةُ الدنيا، والزهرةُ آخرُ مآلِها الذُّبولُ واليَبَسُ والزَّوالُ، وهي أسرعُ أوراقِ الشجرةِ ذُبولًا وزوالًا؛ ولهذا قال: زَهْرَةَ، وهي زهرةٌ حسنةٌ في رونقِها وجمالها وريحِها -إنْ كانت ذاتَ ريحٍ- لكنها سريعةُ الذُّبول، وهكذا الدنيا؛ زهرةٌ تَذْبُلُ سريعًا، نسأل الله أن يجعل لنا حظًّا ونصيبًا في الآخرة.

قال أُبَيُّ بنُ كَعبٍ رَضِيَ الله عنه: (فمَن لم يتعزَّ بعزاءِ اللهِ تقطَّعَت نفسُه حَسَراتٍ على الدُّنيا، ومَن يُتبِعْ بَصرَه ما في أيدي النَّاسِ يَطُلْ حُزنُه، ولا يَشْفِ غَيظَه، ومَن لم يَرَ للهِ عليه نِعمةً إلَّا في مَطعَمِه ومَشرَبِه، نَقَص عِلمُه، وحَضَر عذابُه).

قال ابن رجب: مجالسةُ المساكينِ تُوجِبُ رضا من يجالِسُهم برزقِ اللهِ عَزَّ وجَلَّ، وتُعظِّمُ عنده نِعمةَ الله عزَّ وجَلَّ عليه بنَظَرِه في الدُّنيا إلى مَن دُونَه، ومجالسةُ الأغنياءِ تُوجِبُ التسَخُّطَ بالرِّزقِ، ومدَّ العَينِ إلى زينَتِهم وما هم فيه، وقد نهى الله عزَّ وجَلَّ نَبيَّه صلَّى الله عليه وسلَّم عن ذلك.

(وَرِزْقُ رَبِّكَ خَيْرٌ وَأَبْقَى) أي: وثوابُ الله لك -يا محمَّدُ- في الآخرةِ خَيرٌ مِن زينةِ الدُّنيا وأدوَمُ؛ لأنَّه ثوابٌ لا ينقَطِعُ. موسوعة التفسير

(الرزق) هنا: الثواب، والمعنى أن ما وعد الله به عباده من الثواب في الآخرة هو خير وأبقى من متع الحياة الدنيا؛ لأن ثوابه سبحانه لا انقطاع له ولا نفاد.

كما قال تعالى: (إِنَّمَا عِنْدَ اللَّهِ هُوَ خَيْرٌ لَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ تَعْلَمُونَ * مَا عِنْدَكُمْ يَنْفَدُ وَمَا عِنْدَ اللَّهِ بَاقٍ) [النحل: 95، 96].

وقال سُبحانَه: (وَالْآَخِرَةُ خَيْرٌ وَأَبْقَى) [الأعلى: 17].

وقال عزَّ وجَلَّ: (وَلَلْآَخِرَةُ خَيْرٌ لَكَ مِنَ الْأُولَى * وَلَسَوْفَ يُعْطِيكَ رَبُّكَ فَتَرْضَى) [الضحى: 4، 5].

احْذَرُوا الدُّنْيَا وَالاغْتِرَارَ بِهَا! فَهِيَ لا تُسَاوِي شَيْئَاً فِي مُقَابِلِ الآخِرَةِ؛ قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-: "وَاللهِ! مَا الدُّنْيَا فِي الْآخِرَةِ إِلَّا مِثْلُ مَا يَجْعَلُ أَحَدُكُمْ إِصْبَعَهُ هَذِهِ -أي: السَّبَّابَة- فِي الْيَمِّ، فَلْيَنْظُرْ بِمَ تَرْجِعُ؟" رَوَاهُ مُسْلِم.

رُوِيَ أَنَّ سُلَيْمَانَ بْنَ دَاوُدَ مَرَّ فِي مَوْكِبِهِ وَالطَّيْرُ تُظِلُّهُ وَالْجِنُّ والْإِنْسُ عَنْ يَمِينِهِ وعَنْ شِمَالِهِ، قَالَ فَمَرَّ بِعَابِدٍ مِنْ عُبَّادِ بَنِي إِسْرَائِيلَ. فَقَالَ: وَ اللَّهِ يَا ابْنَ دَاوُدَ لَقَدْ آتَاكَ اللَّهُ مُلْكاً عَظِيماً! قَالَ فَسَمِعَهُ سُلَيْمَانُ عليه السلام فَقَالَ: "لَتَسْبِيحَةٌ فِي صَحِيفَةِ مُؤْمِنٍ خَيْرٌ مِمَّا أُعْطِيَ ابْنَ دَاوُدَ، وإِنَّ مَا أُعْطِيَ ابْنَ دَاوُدَ يَذْهَبُ والتَّسْبِيحَةَ تَبْقَى". تنبيه الخواطر ونزهة النواظر

قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:"مَوْضِعُ سَوْطِ أَحَدِكُمْ مِنَ الجَنَّةِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا، والرَّوْحَةُ يَرُوحُهَا العَبْدُ فِي سَبِيلِ اللَّهِ، أَوِ الغَدْوَةُ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وما عَلَيْهَا" صحيح البخاري.

قَالَ رَسُولُ اللهِ -ﷺ-:"رَكْعَتَا الفَجْرِ خَيْرٌ مِنَ الدُّنْيَا وَما فِيهَا". صحيح مسلم

قال علي -رضي الله عنه-: ""طُوبَى لِلزَّاهِدِينَ فِي الدُّنْيَا، الرَّاغِبِينَ فِي الْآخِرَةِ، أُولَئِكَ قَوْمٌ اتَّخَذُوا الْأَرْضَ بِسَاطًا، وَتُرَابَهَا فِرَاشًا، وَمَاءَهَا طِيبًا، وَالْقُرْآنَ وَالدُّعَاءَ دِثَارًا وَشِعَارًا، فرَفضُوا الدُّنْيَا "رواه أبو نعيم.

وكتب أبو الدرداء إلى بعض إخوانه: "أما بعد: فَإِنِّي أُوصِيكَ بِتَقْوَى اللهِ، وَالزُّهْدِ فِي الدُّنْيَا، وَالرَّغْبَةِ فِيمَا عِنْدَ اللهِ، فَإِنَّكَ إِذَا فَعَلْتَ ذَلِكَ أَحَبَّكَ اللهُ لِرَغْبَتِكَ فِيمَا عِنْدَهُ، وَأَحَبَّكَ النَّاسُ لِتَرْكِكَ لَهُمْ دُنْيَاهُمْ، وَالسَّلَامُ "(رواه البيهقي).

ودَخَلَ رَجُلٌ عَلَى أَبِي ذَرٍّ -رضي الله عنه- فَجَعَلَ يُقَلِّبُ بَصَرَهُ فِي بَيْتِهِ، فَقَالَ: يَا أَبَا ذَرٍّ! أَيْنَ مَتَاعُكُمْ؟ قَالَ: "إِنَّ لَنَا بَيْتًا نُوَجِّهُ إِلَيْهِ صَالِحَ مَتَاعِنَا، قَالَ: إِنَّهُ لَا بُدَّ لَكَ مِنْ مَتَاعٍ مَا دُمْتَ هَا هُنَا، قَالَ: إِنَّ صَاحِبَ الْمَنْزِلِ لَا يَدَعُنَا فِيهِ"(رواه البيهقي).

إن امتلَكتَ فاشكُر، وأَخرِج الدنيا من قلبك، وإن افتَقَرتَ فاصبر؛ فقد طويت عمّن هم أفضل منك، ولم يكن ذلك لهوانهم على الله؛ بل لهوان الدنيا عليه -سبحانه وتعالى-، فهي لا تزن عنده جناح بعوضه، وقد جاء في الأثر: "إِنَّ اللهَ لَيَحْمِي عَبْدَهُ الْمُؤْمِنَ مِنَ الدُّنْيَا وَهُوَ يُحِبُّهُ كَمَا تَحْمُونَ مَرِيضَكُمْ مِنَ الطَّعَامِ وَالشَّرَابِ تَخَافُونَهُ عَلَيْهِ".(رواه أحمد).

﴿وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى﴾﴿132﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال البقاعي: لما أمر الله تعالى بتزكيةِ النَّفسِ؛ أتبَعَه الإعلامَ بأنَّ منها تزكيةَ الغَيرِ؛ لأنَّ ذلك أدَلُّ على الإخلاصِ، وأجدَرُ بالخلاصِ، فقال

(وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا) أي: وأْمُرْ -يا محمَّدُ- أهلَك بإقامةِ الصَّلاةِ، وحُثَّهم على المحافظةِ عليها، واصبِرْ على القيامِ بها، وأدائِها في أوقاتِها بحُدودِها وأركانِها، وآدابِها وخُشوعِها. موسوعة التفسير

كما قال تعالى عن إسماعيلَ عليه الصَّلاةُ والسَّلامُ: (وَكَانَ يَأْمُرُ أَهْلَهُ بِالصَّلَاةِ وَالزَّكَاةِ وَكَانَ عِنْدَ رَبِّهِ مَرْضِيًّا) [مريم: 55].

وعن عبدِ اللهِ بنِ عَمرِو بنِ العاصِ رَضِيَ اللهُ عنهما، قال: قال رسولُ الله -ﷺ-: ((مُرُوا أولادَكم بالصَّلاةِ وهم أبناءُ سَبعِ سِنينَ، واضرِبوهم عليها وهم أبناءُ عَشرٍ)). أخرجه أبو داود.

فيه أنَّه يجِبُ على الإنسانِ أمرُ أهلِه مِن زَوجةٍ وولَدٍ وسائرِ عِيالِه بالتقوى والطَّاعةِ، خُصوصًا الصَّلاةَ. (الإكليل)

قال الرازي: المراد: كما تأمُرُهم فحافظْ عليها فِعلًا؛ فإنَّ الوَعظَ بلِسانِ الفِعلِ أتَمُّ منه بلسانِ القَولِ.

(لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ) أي: لا نُكَلِّفُك -يا محمَّدُ- رِزقًا، بل نكَلِّفُك بإقامةِ الصَّلاةِ وقد تكَفَّلْنا برِزْقِك ورِزقِ جَميعِ الخَلقِ؛ فلا تَنشَغِلْ بطَلَبِ الرِّزقِ عن أداءِ الصَّلاةِ. موسوعة التفسير

قال السعدي: أي: رزقُك علينا قد تكفَّلْنا به، كما تكفَّلْنا بأرزاقِ الخلائقِ كلِّهم، فكيف بمن قام بأمرِنا، واشتغَل بذكرِنا؟! ورزقُ الله عامٌّ للمتقي وغيرِه، فينبغي الاهتمامُ بما يجلبُ السعادةَ الأبديةَ، وهو: التقوَى؛ ولهذا قال: وَالْعَاقِبَةُ فِي الدُّنيا والآخرةِ لِلتَّقْوَى التي هي فعلُ المأمورِ وتركُ المنهيِّ، فمَن قام بها، كان له العاقبةُ، كما قال تعالى (وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: 128].

قال تعالى: (وَمَا خَلَقْتُ الْجِنَّ وَالْإِنْسَ إِلَّا لِيَعْبُدُونِ * مَا أُرِيدُ مِنْهُمْ مِنْ رِزْقٍ وَمَا أُرِيدُ أَنْ يُطْعِمُونِ إِنَّ اللَّهَ هُوَ الرَّزَّاقُ ذُو الْقُوَّةِ الْمَتِينُ) [الذاريات: 56 - 58].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، عن النبيِّ -ﷺ-قال: ((إنَّ الله تعالى يقولُ: يا ابنَ آدَمَ، تفَرَّغْ لعبادتي أملأْ صَدْرَك غِنًى، وأسُدَّ فَقْرَك، وإلَّا تفعَلْ ملأتُ يديك شُغلًا، ولم أسُدَّ فَقْرَك)) أخرجه الترمذي.

وعن زيدِ بنِ ثابتٍ رضي الله عنه، قال: سمعتُ رسولَ اللَّهِ -ﷺ-يقولُ: ((مَن كانت الدُّنيا هَمَّه، فرَّق اللَّهُ عليه أمرَه، وجَعَل فقرَه بينَ عينَيْه، ولم يأْتِهِ مِن الدُّنيا إلَّا ما كُتِب له. ومَن كانت الآخرةُ نيَّتَه، جَمَع له أمرَه، وجَعَل غِناهُ في قلبِه، وأتَتْه الدُّنيا وهي راغمةٌ)).

(وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) أي: والعاقبةُ المحمودةُ في الدُّنيا والآخرةِ لأهلِ التَّقوى. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (إِنَّ الْأَرْضَ لِلَّهِ يُورِثُهَا مَنْ يَشَاءُ مِنْ عِبَادِهِ وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [الأعراف: 128].

وقال سُبحانَه: (تِلْكَ الدَّارُ الْآخِرَةُ نَجْعَلُهَا لِلَّذِينَ لَا يُرِيدُونَ عُلُوًّا فِي الْأَرْضِ وَلَا فَسَادًا وَالْعَاقِبَةُ لِلْمُتَّقِينَ) [القصص: 83].

قال ابن القيم: الصلاةُ جالبةٌ للرزقِ.

قال الشنقيطي: وفي قولِه تعالى: (وَأْمُرْ أَهْلَكَ بِالصَّلَاةِ وَاصْطَبِرْ عَلَيْهَا لَا نَسْأَلُكَ رِزْقًا نَحْنُ نَرْزُقُكَ وَالْعَاقِبَةُ لِلتَّقْوَى) إشارةٌ إلى أنَّها تجلِبُ الرزقَ، وإيضاحُ ذلك: أنَّ العبد إذا قام بين يَدَي رَبِّه يناجيه، ويتلو كتابَه، هان عليه كلُّ ما في الدُّنيا؛ رغبةً فيما عندَ اللهِ ورَهبةً منه، فيتباعَدُ عن كلِّ ما لا يُرضي اللهَ، فيَرزُقُه اللهُ ويهديه.

﴿وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى﴾﴿133﴾

مُناسَبةُ الآيةِ لِما قَبلَها: قال الرازي: أنَّ اللهَ سبحانه بعد الوصيَّةِ بالصَّلاةِ، حكى عن المشرِكينَ شُبهَتَهم، فكأنَّه من تمامِ قَولِه: (فَاصْبِرْ عَلَى مَا يَقُولُونَ) [طه: 130].

(وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ) أي: وقال المشرِكونَ: هلَّا يأتينا محمَّدٌ بمُعجِزةٍ مِن رَبِّه، كمعجزاتِ الأنبياءِ مِن قَبْلِه. موسوعة التفسير

(أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى) أي: أولَمْ يأتِ المشركينَ الذين يَطلُبونَ الآياتِ، القرآنُ الذي يخبِرُهم بما في كُتُبِ الأنبياءِ السَّابِقينَ، كالبِشارةِ بمحَمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم، الذي جاء مصَدِّقًا لها،

ومطابقًا لأخبارِها، ومِن ذلك أخبارُ الأُمَمِ الذين سألوا أنبياءَهم الآياتِ، فلم يؤمِنوا بها فأهلَكْناهم؟ فماذا يُؤمِّنُ هؤلاء المشركينَ إن أتَتْهم آيةٌ أن يكونَ حالُهم كحالِ أولئك فيَهلِكوا مِثلَهم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَقُصُّ عَلَى بَنِي إِسْرَائِيلَ أَكْثَرَ الَّذِي هُمْ فِيهِ يَخْتَلِفُونَ) [النمل: 76].

وقال سُبحانه: (وَقَالُوا لَوْلَا أُنْزِلَ عَلَيْهِ آيَاتٌ مِنْ رَبِّهِ قُلْ إِنَّمَا الْآيَاتُ عِنْدَ اللَّهِ وَإِنَّمَا أَنَا نَذِيرٌ مُبِينٌ * أَوَلَمْ يَكْفِهِمْ أَنَّا أَنْزَلْنَا عَلَيْكَ الْكِتَابَ يُتْلَى عَلَيْهِمْ) [العنكبوت: 50، 51].

وقال عزَّ وجلَّ: (وَمَا مَنَعَنَا أَنْ نُرْسِلَ بِالْآيَاتِ إِلَّا أَنْ كَذَّبَ بِهَا الْأَوَّلُونَ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً فَظَلَمُوا بِهَا) [الإسراء: 59].

وعن أبي هُريرةَ رَضِيَ الله عنه، عن النبيِّ -ﷺ- قال:(ما من الأنبياءِ نبيٌّ إلَّا أُعطِيَ ما مِثلُه آمَنَ عليه البَشَرُ، وإنما كان الذي أُوتيتُ وَحيًا أوحاه اللهُ إليَّ، فأرجو أن أكونَ أكثَرَهم تابِعًا يومَ القيامةِ). رواه بخاري

قال البيضاوي: في قولُه تعالى: وَقَالُوا لَوْلَا يَأْتِينَا بِآيَةٍ مِنْ رَبِّهِ ... قالوهُ تَعنُّتًا وعِنادًا، فألْزَمَهم بإتيانِه بالقُرآنِ الَّذي هو أُمُّ المعجِزاتِ، وأعْظمُها وأبقاها؛ لأنَّ حَقيقةَ المعجِزةِ اختصاصُ مُدَّعِي النُّبوَّةِ بنَوعٍ من العِلْمِ أو العمَلِ على وجْهٍ خارقٍ للعادةِ، ولا شكَّ أنَّ العِلْمَ أصْلُ العمَلِ، وأعْلى منه قدْرًا، وأبقى أثرًا، فكذا ما كان من هذا القَبيلِ، ونَبَّهَهم أيضًا على وجْهٍ أبينَ من وُجوهِ الإعجازِ المختصَّةِ بهذا البابِ، فقال: أَوَلَمْ تَأْتِهِمْ بَيِّنَةُ مَا فِي الصُّحُفِ الْأُولَى من التَّوراةِ والإنجيلِ وسائرِ الكُتبِ السَّماويَّةِ؛ فإنَّ اشتمالَها على زُبدةِ ما فيها من العقائدِ والأحكامِ الكُلِّيَّةِ، مع أنَّ الآتيَ بها أُمِّيٌّ لم يَرَها، ولم يتعلَّمْ ممَّن عَلِمَها: إعجازٌ بَيِّنٌ، وفيه إشعارٌ بأنَّه -كما يدُلُّ على نُبوَّتِه- بُرهانٌ لِمَا تقدَّمَه من الكُتبِ من حيث إنَّه مُعجِزٌ، وتلك ليست كذلك، بل هي مُفتقِرةٌ إلى ما يَشهَدُ على صِحَّتِها.

﴿وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى﴾﴿134﴾

(وَلَوْ أَنَّا أَهْلَكْنَاهُمْ بِعَذَابٍ مِنْ قَبْلِهِ لَقَالُوا رَبَّنَا لَوْلَا أَرْسَلْتَ إِلَيْنَا رَسُولًا فَنَتَّبِعَ آيَاتِكَ) أي: ولو أنَّا أهلَكْنا هؤلاء المشركينَ المكَذِّبينَ بالقرآنِ بعَذابٍ مِن قَبلِ نُزولِ القُرآنِ عليهم، وإرسالِ محمَّدٍ صلَّى الله عليه وسلَّم إليهم؛ لقالوا يومَ القيامةِ محتَجِّينَ على اللهِ: رَبَّنا، هلَّا أرسَلْتَ إلينا رسولًا فنُؤمِنَ ونَعمَلَ بما جاء به مِن آياتِ كِتابِك. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (وَمَا كُنَّا مُعَذِّبِينَ حَتَّى نَبْعَثَ رَسُولًا) [الإسراء: 15].

(مِنْ قَبْلِ أَنْ نَذِلَّ وَنَخْزَى) أي: مِن قَبلِ أن نَذِلَّ بالعذابِ، ونُخزَى في النَّارِ. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (رَبَّنَا إِنَّكَ مَنْ تُدْخِلِ النَّارَ فَقَدْ أَخْزَيْتَهُ) [آل عمران: 192].

﴿قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى﴾﴿135﴾

(قُلْ كُلٌّ مُتَرَبِّصٌ فَتَرَبَّصُوا) أي: قُلْ لهم -يا محمَّدُ: كلٌّ منا ومنكم مُنتَظِرٌ دوائِرَ الزَّمانِ بالآخَرِ، ولِمَن يكون النَّصرُ؛ فداوِموا على انتظارِكم. موسوعة التفسير

كما قال تعالى: (قُلْ هَلْ تَرَبَّصُونَ بِنَا إِلَّا إِحْدَى الْحُسْنَيَيْنِ وَنَحْنُ نَتَرَبَّصُ بِكُمْ أَنْ يُصِيبَكُمُ اللَّهُ بِعَذَابٍ مِنْ عِنْدِهِ أَوْ بِأَيْدِينَا فَتَرَبَّصُوا إِنَّا مَعَكُمْ مُتَرَبِّصُونَ) [التوبة: 52].

(فَسَتَعْلَمُونَ مَنْ أَصْحَابُ الصِّرَاطِ السَّوِيِّ وَمَنِ اهْتَدَى) أي: فستَعلَمونَ -أيُّها المشرِكونَ- مَن هم أهلُ الطَّريقِ المستَقيمِ المعتَدِلِ الذي لا اعوِجاجَ فيه أنحن أم أنتم، وستَعلَمونَ مَن كان مُهتَديًا إلى الحَقِّ، ومَنِ الحائِدُ عنه. موسوعة التفسير

❍ بالدنيا قد تنقلب الموازين فالمعوج يروج انه مستقيم والمستقيم معوج لكن غدا سينزلهم الله كل بمنزلته. مها العنزي

إن الدنيا ظل زائل وسراب راحل، غناها مصيره إلى فقر، وفرحها يؤول إلى ترح، وهيهات أن يدوم بها قرار، وتلك سنة الله تعالى في خلقه، أيامٌ يداولها بين الناس؛ ليعلم الله الذين آمنوا ويمحق الكافرين، إنما هي منازل، فراحل ونازل، وهي بزينتها وبريقها ونعيمها إنما هي: أحلامُ نومٍ أو كظل زائلٍ *** إنّ اللبيب بمثلها لا يخدع.

ختاماً: قال الشيخ محمد الشنقيطي: جعل الله السعادة لمن أطاعه واتقاه، وجعل الشقاء لمن عصاه، يحكم ولا معقب لحكمه وهو سريع الحساب، هدى من شاء برحمته وفضله. بالطاعة تُفتح أبواب السعادة فيعيش الإنسان قريباً من الله، قُرباً يجد به الراحة والهناء. ولا يزال العبد يأخذ بأسباب السعادة التي تقوم على طاعة الله عز وجل حتى يكون من خيار عباد الله، فيرتقي إلى أعلى درجات السعادة. وقد قال بعض العلماء: من كملت طاعته كملت سعادته، ومن نقصت طاعته نقص من سعادته بقدر ما نقص من طاعته. فأهل السعادة الذين التزموا بطاعة الله جل وعلا يُكمل الله سعادتهم ويُجملها بأمر هو أعظم الأمور وأجلها في هذه الدنيا بعد الإيمان ألا وهو حُسن الختام. فأهل السعادة يُختم لهم بخاتمة الرضوان والرحمة، هذه الخاتمة التي يقف الإنسان فيها على آخر أعتاب هذه الدنيا قرير العين عن الله.